

التحليل النفسي الاجتماعي للبطالة

أ. أسماء خلفون، جامعة طاهري محمد بشار

الملخص:

البطالة ظاهرة نفسية اجتماعية تترامى أبعادها في كل النواحي بدءا بالجانب المادي و انتهاءا بالعلاقة مع الآخرين، فهي تعتبر كمشكل علائقي ووصمة تترك آثارها حتى ولو عولجت، لأنها تمس العلاقة مع الغير كون الفرد البطال لا يعيش وحده في المجتمع وكون مكانته تتحدد من خلال الدور الذي يقوم به والذي يقيمه ويقدره الآخر (الغير/المهمين في حياة هذا الفرد)، ثم إن الثمن النفسي الاجتماعي أخطر و أكبر من الثمن المادي، و التساؤل الذي يفرض نفسه هو أنه لماذا تختلف ردود أفعال البطالين نحو تجربة البطالة و كيفية مواجهتها و هل يتعلق الأمر ببطالة إرادية و بطالة لا إرادية. و هل تعاش البطالة كتجربة سلبية أو إيجابية بحسب تمثلات الشباب البطال للعمل و البطالة و كذا بحسب شخصياتهم و ظروفهم الاجتماعية و الاقتصادية.

الكلمات المفتاحية: البطالة، العمل، الهوية، الدور، المكانة الاجتماعية، الهوية المهنية، استراتيجيات البطالة.

Abstract:

Unemployment is a psychosocial phenomenon which reaches every dimension, it's considered a an international problem which leaves effects even after treatment because it deals with the relationship with others and this is because a jobless doesn't live alone subsequently, his social statue is determined on the role that's played and judged by the other (other/influential people in his life), The question is why jobless reactions differ towards unemployment and how to cope with. Is it voluntary or involuntary unemployment matter. We can say unemployment is lived as a positive or negative life depending on their characters, social and economic statues and thus reflects their strategy to cope with.

تمهيد:

ينبغي الالتفات لظاهرة البطالة التي أصبحت شبحاً يهدد الشباب و الأخطر من ذلك فهي تهديد للكيان العربي بأكمله و الجزائري خصوصا، كيف لا و هي التي تحرمهم فرص العمل و تحرمهم تحقيق مشاريعهم المهنية و الشخصية.

فالبطلون يعانون ألما كبيرا و حسرة و إحباط من أنفسهم و من المجتمع فيتجهون للإكتئاب و اليأس و الانسحاب من المجتمع أو الإصابة بأمراض سيكوسوماتية أو الوصول للنقم على الذات و/أو المجتمع و حتى وصولا للانحرافات و الجرائم في أعقد الحالات تأزما.

و التساؤل المطروح هل توجد اختلافات بين البطالين فيما يخص معاشة البطالة و طرق مواجهتها؟ و هل بالضرورة تعاش البطالة كتجربة سلبية؟ ونفترض أنه:

- توجد اختلافات بين الشباب البطال في معاشة تجربة البطالة و كذا اختلافات في طرق مواجهتها.

- لا تعاش البطالة بالضرورة كتجربة سلبية فقد تعتبر لدى البعض كتجربة ايجابية.

فالبطالة هي عدم ممارسة الفرد لأي عمل، سواءا ذهنيا أو عضليا و سواء كانت عدم الممارسة ناتجة عن أسباب شخصية أو إرادية أو غير إرادية.(1)

ومفهوم البطالة بالفرنسية مشتق من كلمة *chômer*، و أصل المعنى لاتيني، و باليونانية *"kauma"*، *chaleur brulante* و تأخذ معنى *"se reposer pendant la"*

"chaleur". و هي تعني الإستراحة أثناء الحرارة.(2)

وحسب المكتب العالمي للعمل *B.I.T* و المنظمة العالمية فإن البطالة:

هي حالة أين يتواجد كل فرد محروم من العمل، و يبحث بسرعة و نشاط عنه، و مستعد لممارسته في الحال.

كما يمكن اعتبار العمل المؤقت أو العمل غير المرغوب به (في غير التخصص مثلاً) بطلاة أو بالأحرى بطلاة مقنعة لأن الفرد هنا لا يقدم شيئاً للعمل و لا يفرغ كل طاقاته فيه طمعا بعمل رسمي و ثابت و لا يستثمر ذاته في هذا العمل.

وعلم النفس الاجتماعي يعرف البطالين على أنهم من وجدوا خطأ في حصولهم على المهمات التي يعينها المسؤول عن العمل فيسئمون الانتظار ويصابون بخيبة الأمل فكونهم بدون عمل، يعني البقاء مع ذواتهم بدون القيام بشيء، معزولين، غير نافعين للآخرين ولأنفسهم مستبعدون عن الحياة الاجتماعية بأكملها.

و هي تعني للأخصائي النفسي، ذلك الفرد الذي يوقف فجأة تأثير كل الظروف.(3)

المقاربة النفسية الاجتماعية لتفسير البطالة و آثارها على البطالين:

أغلبية الدراسات النفسية الاجتماعية تعتبر البطالة تجربة سلبية وصدمة عميقة تمس كل جوانب الحياة الفردية، العائلية والاجتماعية، لأن امتلاك العمل يضمن في المجتمع القيمة والمعرفة والاستكشاف، الكرامة، المنصب والوقار وكذا الهوية الاجتماعية.

والبطالة تبدو كفراغ، و انعدام القيمة ونفي وإنكار كل المعارف والاستطلاعات بالإضافة للإذلال، المهانة وتدمير الهوية.

فكل فرد ورغم انشغاله بذاته فقط، فانه يبحث عن الآخر، لأنه جزء منه، فيحاول هذا الفرد أن يفتح قليلا الغلاف النرجسي، ويحاول أن يعيش في اشتراك مع الآخر.

فالاستكشاف يمس إثبات الهوية، ثم إن الفرد أو الجماعة من خلال ماذا يعرف؟.

إن إمكانية الاستكشاف والمعرفة تتم من خلال العيش ومعرفة شيء آخر، حقيقة العيش هي في معرفة الآخر، الجديد إذا أمكن، يحتاج الفرد لتذكير لكي لا يضيع.(4)

و العمل يعني أن يبيع الفرد العامل قوة عمله لرئيسه، وعندما لا يجد أحدا يشتري قوة عمله، هنا يشعر بالنقص لأن العمل الاجتماعي موضوع للتبادل التجاري. إذن فثمرة ونتاج العمل يثبت الوجود وهذا ما تؤكدُه المقولة التالية:

"أنا أنتج وأملك، إذن أنا موجود" " Je produis, et je possède, donc je suis".

و لا تختلف الآراء حول أن بناء القاعدة الأساسية للشخصية يتم من خلال مؤسسات التنشئة الأولية كالأُسرة، ثم المدرسة ثم الدين ورابع مؤسسة ثانوية تساعد على بناء الشخصية هي مؤسسة العمل، لأن الفرد فيها وبدخلها يواجه الصعوبات، يتعلم بناء ذاته أو الانطباع من جديد وكذا الدفاع عنها... الخ. (5) و لأن الفرد يبني شخصيته من خلال عمله و دوره في المجتمع و هذا ما أكدّه علماء النفس الاجتماعيون أمثال "مييد، تشارلز كولي، كارين هورني، مورينو" هذا الأخير الذي يقول أن الدور هو سابق عن ظهور الذات فمن خلاله تبني شخصية الفرد.

فالفرد دوما بحاجة للعمل، لإيجاد مكان بين الآخرين، ليتموضع في مكان ولكي يتمكن من الانتقال ليحرك حياته: فهو بحاجة للحركة التي تسمح له بلعب كل قواه وإمكاناته، الحركة التي تجلب له الراحة والتي هي أساس ومنبع الراحة و هذا ما يتحقق من خلال إفراغ طاقاته و قدراته. (6)

و في تفسير البطالة يرى علماء النفس الاجتماعيون أن الجسد الاجتماعي، يفرغ أحيانا الثقل على نفسه مثل جسد الإنسان الذي يرمي بالهموم والأمراض ليبقى بصحة جيدة.

والقيام بعمل ما، ما هو إلا انتقال للفرد لكيانه، فالفرد يتماهى مع عمله، وبالتالي يرى علماء النفس الاجتماعيون أن: "البطال يصبح التضحية التي يقوم بها المجتمع من أجل أن يستمر

الآخرون ولا يتغيرون، ويتمكنون دوماً من التماهي مع إطارهم المحصور ومع معالمهم المحددة والمعرفة".

فحسب دراسات غوفمان "Goffman 1963"، فإن نظرة الغير إذا كانت سلبية، ستكون مصدر لتشويه السمعة وإدخال التهميش لهذا الفرد البطال، والمجتمع ينظر إليه بنظرة ازدراء واحتقار وسلبية في كل مجالاته.

إن علماء النفس الاجتماعيين ومن خلال دراسات: Baubion و Broye و Cazals 1997 حول الآثار السلبية للبطالة، يرون أن العمل يعتبر السجل الوحيد الذي من خلاله تستقر حياة الأفراد.

كذلك يرى كازينو و لوبلن في دراسة ، أن ردود أفعال البطالين اتجاه البطالة، تختلف حسب الأفراد، والراحة النفسية للشباب تبعاً للمشاريع ومدة انتظار العمل.

فالجميع لا ينكر الخطر الكبير للبطالة وآثارها على مختلف مجالات الفرد، وهذا الخطر راجع للنظرة وللمثالات حول البطالة سواء من الفرد أو المجتمع.

فالبطالة تعاش كصدمة عميقة تمس كل جوانب الحياة وهي فقدان للمكانة ،لأن الأفراد يعيشون وسط مجتمعات أين العمل يبنى مبدأ التعارف ويمثل الوجود الاجتماعي و المكانة الاجتماعية.

وعندما لا يجد الشاب الفرصة لتحقيق نجاحه وهويته وكذا عندما لا يجد ما يثبت به ذاته وسط المجتمع فإنه يشعر بعجز عن تحقيق أهدافه المهنية والنفسية ويدخل في صراعات يكون مآلها الانحراف أو الاغتراب كإستراتيجية هوية لحماية ذاته من خطر أكبر، لأن غياب العمل يعني اضطراب الأدوار. فالبطالة تعكس قلق كبير اتجاه المستقبل، ورغم أنها تمنح الفرد كل الوقت للقيام بما يريد إلا أنها "هدية مسمومة" كونها مجردة من العمل وبدون اتصال مع العالم الخارجي.

وحسب دراسة أقيمت من طرف عدة باحثين على عينة بطالين بعد غلق مصنع، كان هدفها معرفة الآثار التي تترتب عن حالة البطالة لمعظم سكان المنطقة بعد غلق المصنع الرئيسي فيها، وكانت إجابات البطالين بأنه لا يوجد سوى الفراغ، وان الحياة بدون معنى، وبدون اتصالات. فالفرد البطال و حتى و لو لم يصرح فإنه يشعر بالذنب، ويلوم نفسه ويرى أن الخطأ يكمن فيه لعدم إيجاده عمل، فيشعر بالكراهية والحقد وعدم التفهم، الإهانة، والعجز وإنعدم قيمة الذات، والبعد عن المجتمع، الاكتئاب... الخ.

يقول "إيليس" Ellis، إن القلق والاكتئاب عند البطال لا يأتيان نتيجة لفقدان العمل بالذات، ولكن ينجمان عن مفاهيم غير معقولة، والتي يكونها الفرد من خلال وضعيته (هذا ما يعكس تمثلات الفرد للبطالة ولنفسه وكذا الفروق الفردية).

ويقول أدلر "Adler" أن الفرد لا يتموضع بالنسبة للعالم الخارجي بطريقة محددة مسبقا كما يعتقد ولكن يتموضع دوما تبعا لتأويلاته الخاصة حول ذاته وحسب مشاكله، إن اتجاهه واستعداده الوجودي هو الذي يحدد علاقته مع العالم الخارجي.

إن هذا ما يدفع للإقرار بوجود أولوية مجال على مجال آخر، فتمثين وتقييم المجال المهني للفرد يؤدي بهذا الفرد لاستحالة تقييم الجانب الاجتماعي لأنه لديه انطباع أن الوقت المكرس لهته النشاطات الاجتماعية مفقود وهذا من أجل البحث عن عمل.

فعندما تتواجد البطالة في حياة الفرد، ستضطرب حياته وبالطبع سيضطرب تنظيم المجال المهني وستضطرب مجالات تبادلاته بين مختلف جوانب الحياة، وسيجد الشباب البطال نفسه في وضعية إعادة تعريف منظمة نشاطاته، (مجاله المهني، ثم العائلي)، ولكن إعادة التنظيم هذه غير مقتصورة على كل البطالين، وهنالك دراسة مطولة تمت على عينة من 691 شاب للإجابة على استبيان، وتمت لمدة 19 شهرا فوجد الباحث 3 ثلاث مجموعات:

الفريق الأول وجد عملا بعد سبعة 7 أشهر من البطالة.

الفريق الثاني وجد عملا بعد إحدى عشر 11 شهرا من البطالة.

الفريق الثالث لم يجد عملا مدة تسعة عشر 19 شهرا (أي طوال مدة الدراسة).

وكان هدف الاستبيان تقييم وتقدير مجالات الحياة المهنية، الاجتماعية والشخصية.

وتشير النتائج أن الخروج السريع للبطالة له علاقة بمدة سلوكيات البحث عن عمل.

فلأخذ بعين الاعتبار نسق النشاطات في مجموعها (كلها) هو ما يسمح بتسريع الخروج من البطالة عند كل المجموعات.

الفريق الأول: يعمل من خلال أجزاء تحت نسقية، فهؤلاء الأفراد يظهرون صلابة وقوة ما بين مجالاتية (داخل المجالات)، أي تقييم قوي للمجالين المهني والاجتماعي، وهو ما يسمح لهم بأعلى مستوى للنشاطات فلا يوجد تبادل للمجالات و إنما تكامل النشاطات المهنية والاجتماعية، فالعلاقات الاجتماعية تساعدهم في البحث عن عمل، كما تسمح لهم بالحفاظ على أعلى مستوى للنشاط.

الفريق الثاني: يعمل من خلال التبادل المتساوي، فكل مجال من الحياة يبنى ويؤسس سندا ودعما للمجالات الأخرى، (تنشيط التبادلات بين الانسقة التحتية).

فنشاطاتهم تبدو متعددة الوظائف ومتلائمة مع تركيب جزئي لمختلف المجالات، ومن هذا التركيب ينشأ، تكامل وتوحد المهمات.

فمثلا البطال يقوم بنشاطات جموعية بهدف الحفاظ على الوقت وهو ما يعتبره عمل، فتراه يعمل في مؤسسة مجانا لا يتقاضى أجرا، ولكنه يحصل على نفس الفوائد المعنوية الموجودة في العمل (يعني القيمة النفسية مثله مثل العمال الآخرين، فقط يختلف عليهم في الأجر).

الفريق الثالث: وعلى العكس فهذا الفريق، بقي في بطالة مدة 19 شهرا، كونهم يتعاملون من خلال الإبدال والإنابة فتقييم جانب واحد من الحياة، يستدعي عدم تقييم الجانب الآخر.

وهذا الترتيب من خلال الاستبدال، يجعل الأفراد يعيشون "اضطراب تحت نمط الاغتراب". بسبب عدم دلالة وأهمية النشاطات سواء المهنية أو الاجتماعية. (7) يمكن القول أن تمثل البطالة لا يتأثر فقط بتفضيل وألوية مجال على آخر وإنما يعتمد كذلك على عوامل أخرى، كالمساعدة والدعم العائلي خاصة، للتمكن من مواجهة الأزمة والتكيف معها والتقليل من حدتها.

فللدعم العائلي أهمية كبرى لدى الأشخاص البطالين، لان البطالة تحتاج لمساعدة ملموسة، للنصح، الإرشاد والدعم المادي وهو ما يقلل من مستوى القلق والضغط. توجد فرضية تقول أن الأفراد الذين لديهم دعائم وركائز اجتماعية قوية، سيتمكنون من مواجهة المشاكل الصعبة التي تعترض حياتهم (08).

أما أولئك الذين يملكون ركائز اجتماعية ضعيفة، أو منعدمة، فحتما سيتأثرون بالمتغيرات الحياتية ويكونون عرضة للهشاشة والتجريح والألم خصوصا إذا كان غير مرغوب فيهم وهو ما ينتج ألم نفسي أكبر.

فالبطالون الذين يحصلون على دعم اجتماعي حتى وإن طال مدة البطالة، فإنهم يكونون أقل تأثرا بوضعيتهم من الآخرين الذين لا يملكون دعم. (09)

وهناك دراسة قامت بها "جور" Gore "1978، حول الشباب البطال من خلال استعمال سلم يتكون من ثلاثة عشر (13) بند تعكس إدراك علاقات الحماية والنشاط خارج المنزل، وفرصة الدخول في نشاطات وكذا المساعدات الاجتماعية وخلصت إلى أن الأفراد ذوي الحماية والدعم القوي يكونون أقل إظهارا للأمراض والاضطرابات مقارنة بمن هم أقل حماية، فهؤلاء لوحظ عليهم نسب عالية من الكولسترول، وأعراض أمراض كثيرة، واستجابات عاطفية سلبية. (10)

ولكن هناك حالات استثنائية أين يعتبرون الدعم سواء الاجتماعي أو العائلي، كنقص وكتقليل لمهاراتهم و قدراتهم، و تعطيهم شعورا بالنقص وتشوه سمعتهم، و كذا شعور بالدين للآخر. فليس لديهم إمكانية التبادل.

ويمكن كذلك اعتبار المصدر المالي جانب مهم في تفسير البطالة والتأقلم معها، فالأشخاص الذين يملكون موارد مالية يستطيعون استغلال وقت البطالة في القيام بنشاطات مهنية أو فنية رائعة (كتحقيق المواهب وممارسة الهوايات).

ولكن الشباب البطال المهمش من النسق الاجتماعي، يرى في العمل الوسيلة الوحيدة للشفاء من العزلة.

وتبقى الاختلافات بين البطالين في معاشية تجربة البطالة حسب تماثلهم لها وكذا اتجاهاتهم نحو العمل:

1 فالأفراد البطالون الذين يقدرّون العمل، يعيشون البطالة كفراغ وانشطار، ولديهم حراكية تسمى "المقاومة أو الصمود" ويرون أنهم مجبرون على تقديم تبريرات نتيجة عدم نشاطهم وعدم حصولهم على عمل.

2 النوع الثاني من الشباب البطال، لديهم علاقة غير موظفة وغير مستثمرة في العمل فيعيشون بطالة بديهية عادية، ولديهم حراك يسمى "بالهروب"، ومشروعهم المهني غير متوافق مع تكوينهم أو دراستهم.

وهنالك فئة يبحثون ليس فقط عن الهروب من العمل ولكن الهروب من المجتمع بأكمله، وغير متطلّبين في العمل.

3 الفئة الثالثة، يعيشون العمل كمعيار، وفترة البطالة تعكس لديهم انعزال وانفلات، لديهم حراك مهيأ للتغيير، يبحثون عن المكانة الاجتماعية العالية وكذا الهوية بالنسبة للغير، ومهتمون بالاندماج الاجتماعي كثيرا.(11)

تأثير البطالة على الهوية الفردية والاجتماعية والمهنية:

إن البطالة باعتبارها تجربة سلبية، تجلب للفرد البطال العناء والمشقة والألم وكل المعاني السلبية وتحدث لديه انشطار وقطيعة ما بينه وبين ذاته ويتعدى ذلك لعلاقاته الاجتماعية. فحتما ستكون آثارها وخيمة على نظرة الفرد لذاته وتقديره لها وهويته.

فيقول "ماجور و كروكر Major و Krockner" 1994:

بأن الأشخاص الموصومين الذين يحملون وصمة عار، هم مقصد للنمطية السلبية وهم على العموم ليست لهم قيمة، و هذا الوضع يؤثر سلبا على المستوى الاقتصادي وما بين الشخصي، و التساؤل المطروح كيف سيكون إدراك الذات نتيجة تأثير هته الوصمة؟. فيرى جارات وكالفن "Kelvin و Jarret" أن البطالين لديهم غالبا الإحساس بالتهميش وبوصمة العار، وهم يشعرون وعلى دراية بمكانتهم الاجتماعية الضعيفة وبمواطنتهم من الدرجة الثانية. لأنهم ينتمون لجماعة سلبية، غير متكيفة، لديها تقدير ذات سلبي. (12)

فالبطال يعيش أزمة هوية شخصية، والخطر يبقى دوما في اختلال أدواره العائلية، وكذا انقطاع في علاقاته مع الآخرين.

فالانعزال وانعدام العلاقات الاجتماعية هو ما نسماه بعناء ومشقة البطالة.

فالفردي البطال عندما يجد نفسه بدون عمل، بدون دور وبدون مكانة، بدون هدف، هذا ما يقوده نحو إعادة النظر في ذاته، وإعادة التساؤل حول من أنا؟، وما هو دوري في هته الحياة؟، وعندما يشعر بعدم فائدته، وعدم القدرة على العطاء والأخذ، كل هذه التساؤلات والشكوك تؤثر في إعادة نظرته لذاته وهويته، فيشعر بضعف، وأنه هنالك خطأ ما فيه، وهو مايؤدي به للانعزال وقطع علاقاته مع الآخرين.

فكلود ديبار "Claude Dubar"، يعتبر البطالة كإعادة النظر في الهوية، فمسالة صدمة الهوية، تخص الأفراد الذين يوظفون ويستثمرون كليا "هوية العامل"، ففي هذه الحالة فان تجربة

الهوية للبطالة تأخذ شكل إعادة النظر في السبب المفاجئ، أو سؤال "من أنا"، "qui-suis-je" ?

كما تشير عدة دراسات بريطانية إلى أن الشباب البطال يفتقد لتقدير الذات، ويشعر بالفشل وبأنه أقل من غيره، وتبين حديثا أنه حتى وان لم يتأثر تقدير الذات فانه هنالك آثارا واضحة على الشعور بالكفاءة الشخصية والانجاز. (13)

وحتما إذا كان هنالك تأثير للبطالة على الهوية الفردية، فسيقود نحو التأثير على الهوية الاجتماعية لا محالة، فآثار البطالة تكون قليلة نتيجة للسيرورة الفردية و تكون أكثر و أقوى نتيجة الصورة التي يحملها المجتمع نحو البطالين والتي تحدث عنها غوفمان من خلال وصمة العار لدى البطالين.

فالوصم الذي يطبعه المجتمع على جماعة البطالين يطعن ويضر بعمق الثقة التي يملكها الفرد عن نفسه، والتي تغلق وتحد عليه طريق مسدود على المستوى الشخصي الاجتماعي والمهني، لأن نظرة الغير جد مهمة، فإذا كانت سلبية فحتما ستكون مصدرا لفقدان الثقة وفقدان الاعتبار في النفس وتدخل الفرد في تهميش مع المجتمع.

فالعمل بما أنه "فعل اجتماعي مطلق" فهو لا يبيّن فقط التصور الاجتماعي، وطريقة فهم العالم (التحكم، الإنتاج، الملكية، التصرف حيال أمر ما...)، ولكنه ينظم ويبيّن أيضا العلاقات الاجتماعية ويشغل معظمها. (14)

للعمل والنشاطات دور أساسي في تكوين الهوية، وهته الأخيرة تبرز بالنسبة للغير في الجماعة من خلال الأدوار التي يشغلها الفرد في نشاطاته اليومية.

وبما أن البطال لا يمارس هته النشاطات والأعمال فهو يعاني انقطاعا وانفصالا بالنسبة للمكانات والأدوار الاجتماعية، فالبطالة تعني إزاحة القابلية الاجتماعية وهدم الروابط.

فقد تحدث ج.د. رينود. "Reynaud D.J" عن الانوميا في حياة الشباب البطال، لأن الانعزال يكون نتيجة لضعف القدرة للشروع والبدء، وكذا ضعف الاتصال وتفاوض مشكوك فيه وغير أكيد للعقد الاجتماعي.

ولكن مع ذلك يبقى غالبا جزئي (لا يخص كل الحياة الاجتماعية).

كما تحدث إميل دوركايم عن ظهور حالة الأنوميا "Anomie" عند العاطل، تفقده الثقة بالمعايير والقيم الاجتماعية السائدة، وتحد من الالتزام بها وتقلل من احترامه لها، فقد يصل لحد ارتكاب الجريمة، كما قد يتجه لجريمة الانتحار خلاصا من مشاكله وانتقامه من المجتمع الذي الذي وضعه في معاناة مع البطالة (15).

إذن البطال لا يعاني فقط أزمة مكانة أو غياب المكانة ولكنه يعاني من قطع وهدم للهوية. فالهوية الاجتماعية للبطالين تبنى هوية اجتماعية عديمة القيمة، فيشعرون بعدم الراحة من الجانب العاطفي وأنهم غير معترفون ولديهم تقدير واحترام قليل وضعيف من طرف الغير، وهذا ما يقود نحو تهديد حقيقي للبطالين الذين يحاولون بكل الطرق التخلص منها فيتخذون عدة استراتيجيات دفاعية لحماية ذاتهم، فنتيجة عدم التقسيم والشك اللذان يحيطان بهم، قد يتجهون إراديا لتحطيم وكسر العلاقات الاجتماعية التي تكون من خلال اللامبالاة، الشفقة، الاحتقار أو الخوف من طلب المساعدة. (16).

ينبغي عدم نسيان عنصر مهم ألا وهو الهوية المهنية والتي تعتبر جزء من الهوية ومكونا فعالا لبنائها، كون الفرد يحدد هويته من خلال أدواره ومكانته في المجتمع.

فالعمل يعتبر كمصدر لتطور الشخصية ولتحقيق الذات وكذا الدخل.

ثم إن قيم التطور الشخصي تتأكد في وسط العمل، ومنها، الاستقلالية الذاتية، التحقيق والانجاز، عدم الرتبة والملل، الاتصالات ما بين الشخصية، وكذا الإحساس بالنفع والجدوى.

فالاعتقاد بالاستقلالية الذاتية وإمكانية تطوير القدرات هي من عوامل الدافعية.

ومفهوم الدافعية يعني الاشتراك والانضمام داخل العمل، وهذا ما يعكس الارتباط والامتلاك، فالفرد يمتلك عمله ويحضنه وهذا التحكم والممارسة ينمي سيرورات تزيد وتنمي الإشراف والاستدعاء (l'implication)، وهذا ما يعطي إمكانية التحقيق للفرد في عمله، هذا النشاط هو الذي يصبح مكانا لبناء شخصه وبناء هويته المهنية والتي تكمل هويته الكلية. (17) إذن الدور والمكانة هو ما يبنى هويتنا.

فيقول "P.Tap" بيار تاب "نحن نكون ما نفعله، أي نحن ما نفعله." "Nous sommes ce que nous faisons"

فامتلاك واستدماج قيم مرتبطة بالعمل هي من عناصر تكوين وبناء الهوية المهنية، وهو جانب يشارك على الأقل في الإحساس بالهوية الشخصية والطريقة التي يستقبل بها. وأن يعرف الشخص من خلال مهنته وعمله، هي طريقة للتموقع اجتماعيا وللبناء شخصيا. وهذا ما يعكس مرجعية للجماعة المهنية والتي تصبح جزءا من الذات ابتداء أو من خلال الشعور والإحساس بالانتماء والاشتراك، وكذا مرجعية شخصية باسم المهنة الممارسة والمستثمرة والمعاشة.

ففي مجال العمل يمكن تحديد الهوية من خلال الدور الممثل أو الوظيفة الاجتماعية المتخذة. والهوية المهنية قد تعرف على أنها عنصر للهوية المرتكزة والمعتمدة على المجال المهني الذي يوظفها الفرد فيه ويمتلكه من أجل بناءه. (18)

يمكن القول بأن الهوية لا تتحدد ولا تتكون من عدم، فهي نتاج للخبرات الشخصية، للنظرة وللتصورات والتمثيلات، للذات وكذا نظرة الغير التي هي كمرآة كون الأفراد في علاقات إنسانية اجتماعية هذا يعني تأثير وتأثر وكذا للأدوار والمكانات المهنية والتي تعزز إدراك الذات وتعطينا تصور واضح لما نحن عليه.

لكن ليس بالضرورة أن تعاش البطالة عند جميع البطالين بسلبية، فهناك حالات تعيش البطالة بإيجابية، فهؤلاء البطالين لا يعيرون أهمية كبيرة للعمل، وفترة البطالة تعتبر كفرصة لهم لتحقيق طموحاتهم ورغباتهم، لأن العمل يقيدهم ويربطهم بوقت وببنية وقتية صارمة تحرمهم حريتهم. فحسب دراسة مطولة لـ"لittel 1976"، فإن نصف الرجال الذين يتعرضون لفقدان العمل، يعتبرون أن وضعيتهم كفرصة لتحسين ظروفهم أكثر من اعتبارها أزمة. (19) أقيمت كذلك دراسة حول شباب في كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، ألمانيا، مونتريال، من طرف عدة باحثين، من خلال سير الآراء. فهم يرفضون كما بينت "ريني زول" Rainer Zoll، البقاء والتشبث بعمل مستقر وكذا بناء مسار مهني لهم، لأنهم لا يتكبدون العناء ولا يحبون ذلك، فقط يفكرون بالقيام بعمل مؤقت.

وحسب دراسة أخرى لـيانكيلوفيتش "Yankilovitch" على عينة من 18-22 سنة، من خلال سير الآراء، بينت النتائج أنهم يرفضون العمل المنتظم، والمتوازن "لأنه لديهم أشياء ذات أهمية كبرى أكبر بكثير من العمل".

وهذا التفسير لعدم الرغبة في العمل يجيب عن التساؤل المطروح دوماً هو أنه لماذا يبقى البعض بدون عمل، وهل البطالة متعلقة بالإرادة الضعيفة، والمستوى الدراسي الضعيف، وكذا عدم الاستعداد، فيقال أنه من يريد حقاً العمل فإنه حتماً سيجد عملاً في النهاية.

خلاصة:

بعد القيام بالتحليل من خلال ما سبق ذكره يمكن القول أنه:
- توجد اختلافات بين الشباب البطال في معاشة تجربة البطالة و سبل مواجهتها و الأمر راجع للاختلاف في تصورات الأفراد وتقييمهم للمجال المهني (العمل)، و التفاوت في مستويات الدعم المادي أو المعنوي.

- ليس بالضرورة أن تعاش البطالة كتجربة سلبية، لأن بعض الشباب يعتبرها تجربة ايجابية نتيجة عدم اهتمامهم بالمجال المهني و تفضيل مجالات حياتية أخرى "الهوايات و العلاقات الاجتماعية و كذا الرغبة في الحرية و الاستقلالية من العمل.

إن البطالة قد تعاش بسلبية عندما يقدر الأفراد البطالين العمل ويعتبرونه أولى اهتماماتهم ويعيرونه كل الأهمية ويقدرونه بغض النظر عن الجانب المادي ، هؤلاء الأفراد لا يحتلمون البطالة ويرونها كدراما وكإعاقة وكحاجز يعيقهم يسعون بكل ما يملكون للتخلص والخروج منها، ولا سيما عندما يفتقدون للدعم العائلي و الاجتماعي (المادي و المعنوي).

- وقد تعاش البطالة بإيجابية، وكوقت للراحة والتخلص من القيود هنا نتحدث عن أفراد لديهم موارد مالية (كدعم العائلة الميسورة الحال مثلا)، أو هم من النمط الذي لا يعطي للعمل أهمية وقيمة نفسية.

- كما و قد يختلف الشباب البطال في مواجهته للبطالة، وكل منهم يستعمل استراتيجيات هوية سواء للتخلص من وضعية البطالة أو لحماية ذواتهم من خطر نفسي أكبر، فقد يتجه البعض للبحث عن عمل بكل الوسائل و الطرق بدون كلل أو أمل، و قد يتجه البعض الآخر، للقبول بأي عمل كان مؤقت، بدخل ضعيف، العمل في غير التخصص كي لا يبقى بدون عمل ولا يقال عنه أنه بطل. آخرون يغيرون مشاريعهم المهنية، و فئة أخرى تستعمل استراتيجيات سلبية كالانتقام من المجتمع، أو من الذات... إلخ.

الهوامش:

- (1) أسامة السيد عبد السميع: "مشكلة البطالة في المجتمعات العربية والإسلامية" "الأسباب، الآثار والحلول"، دار الفكر الجامعي، ط1، الإسكندرية، 2008، ص09.

- 2) PAUL BAIROCH, LE CHOMAGE URBAIN "DANS LES PAYS EN VOIE DE DEVELOPPEMENT", BUREAU INTERNATIONAL DU TRAVAIL, GENEVE, p54.

- 3) RAYMOND LEDRUT : SOCIOLOGIE DU CHOMAGE, PRESSES UNIVERSITAIRES DE France, PARIS, 1966 p403.
- 4) DANIEL SIBONY : EVENEMENT 2"PSYCHOPATHOLOGIE DU QUOTIDIEN, EDITION DU SEUIL, 1995, p 129.
- 5) RENAUD.SAINSAULIEU :L'IDENTITE AU TRAVAIL 'les effets culturels de l'organisation', PRESSE DE LA FONDATION NATIONALE DES S POLITIQUES, 3ED, 1988, p 343.
- 6) DANIEL SIBONY : op cit, p 131.
- 7) P.PANSU, C.LOUCHE : LA PSYCHOLOGIE APPLIQUEE A L'ANALYSE DES PROBLEMES SOCIAUX, PUF, 1ED, 2004, p 150,153.
- 8) JACQUES CHAVANES : LA CITE AU TRAVAIL"L'INSERTION DES JEUNES DE" BANLIEUE" D'ORIGINE MAGHREBINE", L'ARMATTAN, PARIS, 2009, p 179.
- 9) GINETTE HERMAN : TRAVAIL, CHOMAGE ET STIGMATISATION 'UNE ANALYSE PSYCHOSOCIALE', DE BOECK, 1ED, BRUXELLES, 2007, p 226.
- 10) P.TAP, H.MALEWESKA.PEYRE : MARGINALITES ET TROUBLES DE LA SOCIALISATION, PRESSES UNIVERSITAIRES DE FRANCE, 1ED, PARIS, 1993, p60, 61.
- 11) SEBASTIEN SCHEHR : LA VIE QUOTIDIENNE DES JEUNES CHOMEURS, PUF, 1ED, PARIS, 1999, p 41-46.
- 12) P.PANSU, C.LOUCHE : op cit, p 136.
- 13) مايكل أرحيل، ترجمة فيصل عبد القادر يوسف : سيكولوجية السعادة، مراجعة شوقي جلال، عالم المعرفة، غير مؤرخ، ص 73، 72.
- 14) SEBASTIEN SCHEHR : op cit, p 22.
- 15) أحمد حويطي، عبد المنعم بدر، دميانيرنوديالو (1998)، البطالة ودورها في نشر الجريمة والانحراف، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 1998، ص 07.
- 16) JAQUES FREYSSINET : LE CHOMAGE, LA DECOUVERTE, 11ED, 2004, p 46.
- 17) CLAUDE LEMOINE : PSYCHOLOGIE DANS LE TRAVAIL ET LES ORGANISATIONS, RELATIONS HUMAINES ET ENTREPRISE, DUNODE, PARIS, 2003, p 26-29.
- 18) CLAUDE LEMOINE : ibid, p 29,30.
- 19) MICHEL TOUSIGNANT : LES ORIGINES SOCIALES ET CULTURELLES DES TROUBLES PSYCHOLOGIQUE, PRESSES UNIVERSITAIRES DE FRANCE, 1ED, PARIS, 1992, p 170.